

السعادة

- من الدلالات إلى الإشكالية
- السعادة إرضاء للبدن أن للعقل أم للقلب ؟

- من الدلالات إلى الإشكالية:

إن لفظ السعادة يختلف مدلوله باختلاف تمثل الناس له فمنهم من يربط السعادة بالمال، أو بالصحة، بالسلطة أو العرف و الأخلاق أو في انسجام الأسرة .

مفهوم السعادة إذن يتضمن الأبعاد التالية: هناك البعد المادي و البعد الاجتماعي و البعد المعنوي، و على هذا الأساس فإن السعادة تتجلى في ثلاث مستويات :

- المستوى المادي و يتمثل في الإشباع و تلبية مختلف الحاجات في جميع أشكالها .
- و هناك المستوى المعنوي العقلي و يتجلى في التسيير و التدبير .
- و هناك المستوى الوجداني الشعوري و يتمثل في الرضا الذي يشعر به الفرد عند إنجاز له عمل ما .

و في هذا الإطار يمكن طرح التساؤلات التالية :

- هل تعتبر السعادة وليدة الصدفة ؟ أم أنها نتيجة مجهود لا بد من بذله ؟
- هل السعادة ممكنة في الأرض أم أنها لا تتحقق إلا في العالم الآخر ؟
- و هل يمكن قيام سعادة فردية في غياب السعادة

الجماعية ؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات مرتبط بمفهوم الحكمة كما حددها الفلاسفة المسلمون، و لهذا سنعالج مفهوم السعادة من خلال مواقفهم .

رجوع

السعادة إرضاء للبدن أن للعقل أم للقلب ؟

لقد حدد الفلاسفة المسلمون لفظة سعادة من خلال التأكيد على مسألتين أساسيتين : ضبط مفهوم اللذة هل هي جسدية أم عقلية مع تحديد أيهما أفضل، يقول الأصفهاني « اللذة هي إدراك المشتهى و الشهوة انبعاث النفس لنيل ما تتشوقه » أما من حيث المفاضلة فإن اللذة العقلية أفضل من اللذة الجسدية المحترقة لأن هذه الأخيرة يشارك فيها الحيوان و الإنسان و لهذا فالسعادة لا ترتبط بالمستوى الحسي للذة بل إن أشرفها هي تلك المرتبطة باللذة العقلية .

إن تفضيل اللذة العقلية على اللذة الحسية سيجعل من السعادة خيرا على الإطلاق لأنها خالية من المنفعة و لا تلحق أي ضرر، و لهذا فهي تطلب لذاتها دون أن يتضرر منها أي شخص بخلاف المجالات الحسية التي قد تلحق الضرر بالآخرين .

إن هذا الموقف يرتبط بالتصور العام للفلاسفة المسلمين الذين ميزوا في الإنسان بين ما هو جسدي و ما هو عقلي و اعتبروا أن الجانب العقلي هو الجانب الأرقى لأنه يتسم بالطهارة، و بالتالي فإن الإنسان لا يمكنه أن يحقق السعادة إلا من خلال انفصاله من خلال شهواته و نزواته و رذائله و هذا الموقف عامة نجده لدى الفلاسفة اليونان و خصوصا عند سقراط و أفلاطون، و على هذا الأساس يربط الفرابي الشقاء الإنساني بذلك التداخل الحاصل بين النفس الطاهرة و دناسة

البدن، و الإنسان في نظره يقترب من السعادة كلما استطاع أن يظهر نفسه و يفصلها عن كل الشهوات لأنه لا يجني من هذه الأخيرة إلا الشر و الشقاء .

و في نفس السياق يؤكد "ابن مسكويه" على ضرورة تهذيب الأخلاق و ذلك عن طريق الفصل المحقق للنفس عن الجسد لأنهما من طبيعتين مختلفتين و متناقضتين، فالنفس في نظره عبارة عن جوهر بسيط غير محسوس، أما الجسد فطبيعته مادية و لهذا فالنفس أشرف و أرقى من الجسد و تتمثل فضيلتها في طلب العلم و المعرفة و كلما ازداد اشتياق النفس للعلوم و المعارف كلما تحقق السعادة و اكتمال الإنسان و تجرده عن كل ما هو محسوس و ابتعاده عن العامة و البسطاء و من ثم تظهر المعادلة التالية لدى الفلاسفة المسلمين و العرب: اتباع الجسد و إشباع الشهوات و اللذات الحسية نجده لدى العالة و البسطاء أما اتباع العقل و تطهير النفس من النزوات و طلب العلم و المعرفة و تحصيل السعادة نجده لدى العلماء و الراسخين .

نستنتج من هذا أن ارتباط العقل أو النفس بالعلوم أو المعارف يؤدي إلى تحصيل الحكمة التي هي أسمى تجليات العقل البشري، و هي الطريق الوحيد الذي يمكن من تحقيق السعادة إلا أن السؤال الذي يطرح في هذا المجال هو: كيف يمكن تحقيق هذه السعادة ؟ و ما هي الأدوات التي تعتمد لتحقيقها ؟ .

فبما أن السعادة النظرية يتحدد موضوعها في الوجود بصفة عامة أي البحث في الوجود الإلهي بطبيعتها و صفاتها و وجود العالم و الوجود الإنساني فهناك طريقتان منهجيان لتحقيق السعادة: طريق أهل البرهان و النظر العقلي و هم الفلاسفة و طريق أهل العرفان و هم المتصوفة؛

• فبالنسبة للفلاسفة يتم تحقيق السعادة فلسفيا عن طريق الانتقال من العالم السفلي إلى العالم العلوي أي عالم العقول المنفصلة عن الماديات و هذه المرتبة لا يحققها إلا الفلاسفة .

• أما بالنسبة لأهل العرفان أي المتصوفة فإنهم يحققون السعادة عن طريق الإشراق و الحضرة الإلهية و الأساس هو مجاهدة الجسد و كبح الرغبات و الابتعاد عن الدنيا، إن طريق السعادة لديهم لا يتم بالعقل و إنما يتم بالباطن عن طريق إشراق النور الإلهي في قلب المتصوفة .

إلا أن السؤال المطروح و الذي يفرض نفسه هو هل يمكن أن تتحقق السعادة في التجربة الفردية فقط أم أن لها بعدا اجتماعيا ؟